مجلة

كلية التـــراث الجامعة

مجلة علمية محكمة

متعددة التخصصات نصف سنوية

العدد الثالث والثلاثون

عدد خاص بوقائع المؤتمر العلمي السنوي الرابع عشر (الدولي الثالث)

27 آذار 2022

ISSN 2074-5621

رئيس هيئة التحرير

أ. د. جعفر جابر جواد

نائب رئيس هيئة التحرير

أ. م. د. نذير عباس ابراهيم

مدير التحرير

أ. م. د. حيدر محمود سلمان

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق 719 لسنة 2011

مجلة كلية التراث الجامعة معترف بها من قبل وزارة التعليم العالي والبحث العلمي بكتابها المرقم (ب 3059/4) والمؤرخ في (2014/ 4/7)

نَمر الصحراء (فخرالدين باشا) ودفاعهُ عن المدينة المنورة (1868-1948م)

م.م. ندى كامل تايه

مستخلص البحث:

يسلط البحث الضوء على حياة القائد المدافع عن المدينة المنورة فخرالدين باشا كأحد ابرز القادة العثمانيين الذي لعب دور متميزا كقائد للفيلق الرابع العثماني في الحجاز والذي تميزت شهرته من خلال دفاعه عن مدينة رسول الله ورفضه الاستسلام حتى بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى حيث لم يرضى التخلي عن أراضي المدينة كرمز ديني عظيم للامة الإسلامية جميعا، والذي اطلق عليه لقب نمر الصحراء لاستبساله في قتال الإنكليز والتصدي لتامر قبائل الحجاز والمدينة المنورة، لقد كانت تلك المقاومة المجيدة لها صدى كبير على مر التاريخ وستبقى الأجيال القادمة تذكرها وتذكر القائد فخرالدين باشا كلما ذكرت احداث الحرب العالمية الأولى.

كلمات مفتاحية: فخرالدين باشا، الدولة العثمانية، المدينة المنورة، البريطانيين.

Abstract

The research sheds light on the life of the defender of Medina, Fakhruddin Pasha, as one of the most prominent Ottoman leaders, who played a distinguished role as a commander of the Ottoman Fourth Corps in the Hijaz, and whose fame was distinguished by his defense of the city of the Messenger of God and his refusal to surrender even after the end of the First World War and the surrender of the Ottoman Empire, where he did not agree to give up the lands of the holy city that was a great religious symbol for the entire Islamic world.

He was nicknamed by his foes and allies as "The desert tiger" for his bravery in fighting the English and confronting the conspiracy of the tribes of Hejaz and Madinah. That glorious resistance had a great echo throughout history and the future generations will remember it and will remember the leader Fakhruddin Pasha whenever the events of the First World War are mentioned.

المقدمة:

غلب شعور التعب على الدولة العثمانية عبر القرون حيث لم تعد قادرة على تحمل اعبائها واصبح يظهر عليها علامات الانحلال في كل مكان وتزامن ذلك مع اعلان الحرب العالمية الأولى وسوء الوضع المالي ناهيك عن حروبها في البلقان، كان يجب عليها الظهور كمدافع عن الوطن العثماني بأكمله، فكلها أسباب أدت الى اقحام الدولة العثمانية في تلك الحرب الشنيعة، وكانت المدينة المنورة هي احد أجزاء ذلك الوطن العثماني الكبير والتي كانت تعتبرها الدولة العثمانية صرح عظيم لاحتوائها على قبر الرسول الكريم والخلفاء الراشدين والصحابة وآل البيت الاطهار، لذلك أعطيت تلك المهمة لقائد شريف وذو دين ومبادئ

إسلامية بحته وهو فخرالدين باشا رغم تردي الوضع العسكري للدولة وخسارتها المحتومة، ومع كل ذلك كان لا بد له ان يستميت في الدفاع عن مدينة الرسول الأعظم.

ومع انتهاء الحرب وتوقيع هدنة مودروس كان لابد له ان يسلم المدينة رغما عنه وبدون موافقته بعد بقائه لمدة عامين وستة أشهر مدافعا عنها، وبعد مرور مئة عام على الحرب العالمية الأولى سوف يبقى ذلك القائد المتفاني لصموده وصد هجمات القبائل العربية من جهة والقوات البريطانية الغازية من جهة أخرى وايمانه المطلق بأنه سيبقى مضحيا لإنه قبل باستسلام مشروط وليس بيده شيئا فإنها الحرب ويجب ان يكون هنالك خاسر ومنتصر.

كان من أبرز الاسباب التي دفعتني الى اختيار موضوع بحثي هو محاولة الباحثة التعرف والاطلاع على شخصية فخري باشا الذي تعتبر من اهم الشخصيات القيادية التي تركت اثرا بارزا في منحى التاريخ لمرور شخصيته وحياته بمراحل كان المن الموجب ان تكون لها القابلية على كسر الانسان، لكنه تجلى تركا ذكراه واعماله وشجاعته تتناول سيرته وحياته منذ ولادته وحتى وفاته، واعتمدت في بحثي هذا على جملة ومن المصادر الأجنبية التركية منها والإنكليزية دافعا مني لتطوير منهجية البحث واستخدام مصادر جديدة لم يتطرق لها سابقا، ولم يحتوي بحثي هذا على مصادر عربية كونها قد استخدمت واستهلكت من قبل الباحثين على مر سنين البحث العلمي.

وقد قسمت بحثي هذا الى ستة محاور ناقشت فيها جميع جوانب حياة الشخصية واعماله الحربية والدبلوماسية الى اخر سنين حياته ثم وفاته، وهي كالآتي: **"ولادته ونشأته" "حياته العسكرية" "واجباته اثناء ترحيل الأرمن" "موقف فخرالدين باشا من العلاقات بين الشريف حسين والانكليز" "واقعة الجراد المشوي" "الاستسلام وحياته في الاسر والمنفى" "نمر الصحراء في أفغانستان"**

أولا: ولادته ونشأته (حياته الشخصية والاسرة)

الاسم الكامل لفخرالدين باشا هو (عمر فخرالدين بن محمد ناهد بن عمر) ولد في مدينة روسجوك (روسه اليوم) في شمال بلغاريا عام 1868م، كان والده محمد ناهد الذي ولد عام 1833م الذي كان يعمل في منصب مدير التلغراف في مقاطعة الدانوب ومدينة بوخارست ونقل فيما بعد فأصبح مديرا للبريد والبرق في اليمن عام 1897م وتوفي عام 1914م، وجده عمر بيك كان ضابطا في الجيش العثماني في عهد السلطان سليم الثالث (1789-1808م) حيث خدم جده في المجر، اما والدته فاطمة عادل خانم فولدت في ميدان اكنجيبالي في مدينة موهاكس التي كانت واقعة تحت الحكم العثماني في ذلك الوقت والتي كان للمدينة ذكر تاريخي حيث دارت فيها معركة موهاج في 29 اوغسطس سنة 1526م.[1]

وتذكر بعد المصادر ان والدته تنحدر من سلالة باليوغلو النبيلة أحد أفرع حكام القسطنطينية، اما عمه فقد كان قائدا للفيلق الرابع في الجيش التركي في أذربيجان.[2]

بدأ عمر فخرالدين تعليمه الابتدائي في روسه ثم جاء الى إسطنبول بعد الحرب الروسية العثمانية عام (1877-1878م)، حيث اثارت هذه الحرب الرغبة لديه ليصبح جنديا في الجيش العثماني حيث قتل الكثير من المسلمين في هذه الحرب لهذا التحق بالكلية الحربية العثمانية عام 1888م و اصبح ضابطا برتبة ملازم اول في سلاح الفرسان، وبعد ذلك تابع دراسته الحربية في مدرسة اركان حرب بنجاح كبير بصفته الأول على دفعته، وهذا الامر أهله للدخول الى القصر السلطاني حيث عين من قبل مجلس المعارف العسكرية ومنحه وسام شرف من قبل القائد العام للقوات العثمانية آنذاك.[3]

اما بالنسبة لحياته الشخصية فانه قد تزوج في هذه الفترة من السيدة عائشة صديق هانم (؟؟-1959م) التي حازت على وسام الرأفة تقديري من قبل الدولة لمساهمتها في مساعدة جرحى الحرب العالمية الأولى عام 1917م، ولديه منها خمسة أطفال، ابنه الكبير محمد سليم 1909م وهو لواء متقاعد، ومحمد اورهان 1910م نائب سابق في حزب العدالة والتنمية، وايهان 1927م وتوفي سنة 1955م مهندس ميكانيكي وابنتان هما صبحية وعائشة نرمين.[4]

تغير لقب فخرالدين باشا الى لقب توركان (Türkkan بالتركي) بعد صدور قانون الألقاب* على أثر انتهاء فترة حكم السلطنة العثمانية ومجيئ الدولة التركية الحديثة.[5]

كان فخرالدين باشا منضبطا ومجتهدا وذي اخلاق عالية ومتميز بتقواه حيث اعطته هذه الصفات العديد من النجاحات المتوالية توال فترة حياته العسكرية، وكان أهمها وابرزها دفاعه عن مدينة الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم)، كونه شخص مخلص لدينه وبلده وواجبه وانه كان من اهم صفاته خلال فترة حياته العسكرية هو خدمته لنفسه حيث كان يغسل ملابسه بنفسه وهو قائد في الجيش ويساعد جنوده في عملهم ويحمل الجرحى بنفسه في المعارك وعلى الخطوط الامامية في جبهات القتال وكان يلقي في قبل جنوده الحماس ويبث أروع صور التضحية لدى جنوده ورفع معنوياتهم في جبهات القتال، فكان نعم القائد لجنوده حتى انه كان يتجاهل في بعض الأحيان الأوامر العسكرية في سبيل مصلحة جنوده فكان اب رحيم وفي نفس الوقت عنيف وشجاع وفخور ولا يقدم أي تنازلات في شؤون بلده ودينه وكان يتمتع بشخصية قوية ولا يسمح لأي شخص ان يفرض عليه أي امر تحت أي تأثير.[6]

توفي عمر فخرالدين توركان في عام 1948م عن عمر ناهز 80 عاما أثر نوبة قلبية اثناء رحلة بالقطار بالقرب من مدينة اسكيشهر، ودفن في مقبرة آشيان أسري* بناء على طلبه.[7]

ثانيا: حياته العسكرية

تمت ترقية فخرالدين باشا الى رتبة رائد (بالتركي Kol Aghassi) * في 21 يوليو سنة 1892م، وفي يناير سنة 1894م تم ارساله الى مقر الجيش الرابع العثماني بوساطة هيئة اركان حرب، وبعد ذلك تم نقله الى الجبهة العثمانية الروسية في قسم المشاة للعمل على صد هجمات العصابات الأرمنية التي كانت تداهم بين الحين والأخر الأراضي العثمانية وضرب وحدات الجيش المرابط في تلك المناطق.[8]

وفي عام 1908م عين رئيسا للجنة الحدود التركية ضمن وحدة ترسيم الحدود بين الدولة العثمانية روسيا، وفي 2 مايو سنة 1909م شارك في قمع الانتفاضة اليونانية في مدينة ايفاليك (ايوالق حاليا) * ضمن سلسلة حروب البلقان، ثم عمل في لجنة التحقيق في تلك الحادثة المذكورة سابقا وعرفت بحادثة ايفاليك.[9]

بعد ذلك رقي الى رتبة عميد (بالتركي Miralay) عام 1910م، ثم قائدا للفرقة الثالثة التي أرسلت الى طرابلس في ليبيا لمحاربة الايطاليين الغزاة، ثم أصبح قائدا للفرقة الواحد والثلاثون التي كانت ضمن الجيش العثماني الذي أرسل الى غرب البلقان لدرء هجمات الثوار هناك، ثم التحق بالفيلق العاشر بقيادة رشيد باشا الذي لعب دورا في استعادة أدرنه في حرب البلقان الثانية من البلغار سنة 1913م ثم رقي الى منصب قائد الفيلق الثاني عشر على أثر حصوله على اقدمية لمدة عامين.[10]

عندما دخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى في 11 نوفمبر سنة 1914م كان فخرالدين باشا قائدا لفيلق الثاني عشر المتمركز في مدينة الموصل العراقية بأمر من أنور باشا(1881-1922م) * ثم نقل الى قيادة الفيلق الرابع سنة 1915م بأمر من احمد جمال باشا(1873-1922م) * قائد القوات العثمانية آنذاك.[11]

ثالثا: واجباته اثناء ترحيل الأرمن

كانت تمردات الأرمن لفترة طويلة مدعومة من الروس وكذلك من بريطانيا وفرنسا مسببة الكثير من المتاعب للدولة العثمانية سواء متاعب سياسية واقتصادية واجتماعية، حتى انهم خططوا لاغتيال السلطان عبد الحميد خان الثاني (1876-1908م) وعملوا على زعزعة الامن والاستقرار إضافة الى جملة من الاعمال الإرهابية التي استهدفت حياة السكان في تلك المناطق.[12]

قررت الدولة العثمانية وكإجراء احترازي الى ترحيل الأرمن الى سوريا بمساعدة الفيلق الرابع العثماني للعمل على الحد من تلك التمردات والاعمال الاستفزازية وابعاد هذه العناصر عن التأثيرات السياسية سواء من بريطانيا او روسيا، كانت هذه العملية بقيادة فخري باشا لقمع اعمال اللصوصية في مدن اورفا وزيتون والمناطق الجبلية المحيطة بها، على أثر هذه الاعمال حصل فخرالدين باشا على الميدالية الفضية للقتال في سنة 1915م وتثمينا لجهوده في نشر الامن في تلك المناطق.[13]

لقد انتشرت سيرة القائد فخرالدين باشا في عموم البلاد مما أدى الى تعينه قائدا للقوات العثمانية في الحجاز وتم ارساله الى المدينة المنورة على أثر وقوع الشريف حسين * تحت اغراء البريطانيين.[14]

رابعا: موقف فخرالدين باشا من العلاقات بين الشريف حسين والانكليز

بعد سيطرة السلطان سليم ياوز(1512-1520م) * على مصر سنة 1517م أصبحت الحجاز (المدينة المنورة ومكة) تدين بالولاء للدولة العثمانية ووضع إدارة شؤونها تحت امرة الاشراف الذين هم من نسل الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) والحفاظ على الامتيازات القديمة لهم كأُسر تدير شئون مكة والمدينة مع وضع عدد من الجنود تحت امرة حكام الحجاز كإجراء احترازي وكحمايات لهم.[15]

لقد تميزت العلاقات بين الدولة العثمانية حكام الحجاز بأنها علاقات جيدة مبنية على الاحترام كونهم لهم مكانة كبيرة وخاصة عند السلطان العثماني كونهم من نسل الرسول (صلى الله عليه وسلم) فكان يرسل لهم الهدايا والعطايا اعفائهم من جميع الضرائب المفروضة على السكان التابعين للدولة العثمانية حيث عاش العرب في سلام مع العثمانيين حتى بداية القرن التاسع عشر عندما ظهرت بعض الحركات المحلية ضد الدولة العلية مثل بروز الأفكار القومية والامبريالية التي ولدتها الثورة الفرنسية*.[16]

كان الوضع العام في الجزيرة العربية عند بدء الحرب العالمية الأولى ينم على كونها شبه جزيرة كاملة مقسمة تحت سيطرة عدد من الامراء منهم ابن سعود في نجد، والأمير ادريس في عسير والأمير يحيى في اليمن ورشيد في حائل وطالب النقيب في البصرة كذلك امارة المنتفك التي كانت امارة شبه مستقلة أيضا، لكن كل هذه الامارات كانت موالية للدولة العثمانية، ولقد حاولت بريطانيا وفرنسا تفكيك الدولة العثمانية خصوصا في الجزيرة العربية لضرب المصالح العثمانية في الجزيرة العربية وخصوصا لبث النزاعات واثارة النعرات والفتن بين امراء الجزيرة ونشر بعض أفكار التحرر والاستقلال وبناء دولة عربية موحدة، حيث لاقت تلك الأفكار ترحيب من قبل بعض امراء الجزيرة منهم الشريف حسين، مما جعل التغلغل والوصول الى اشراف مكة امرا سهلاً.[17]

لقد بدأت العلاقات بين الشريف حسين وبريطانيا منذ عام 1893م واستمرت وزادت وتعمقت تلك العلاقات بشكل ملحوظ عندما بدأت مراسلات بين الشريف حسين والسير هنري مكماهون* المندوب السامي البريطاني في القاهرة سنة 1912م، كذلك التقى باللورد كتشنر* حاكم والمندوب السامي في السودان في عام 1914م في القاهرة بمعية ابنه عبدالله، وعند عودة الشريف حسين من القاهرة التقى مع العرب المناهضين للدولة العثمانية في سوريا ومنهم الجمعيات السرية والعلنية التي كانت تعمل ضد المصالح العثمانية في المنقطة العربية ومنهم جمعيتا العهد والفتاة* وذلك لتحديد المستقبل العربي، وتقرر اثناء تلك المحادثات الوقوف مع بريطانيا ضد الدولة العثمانية لبناء دولة عربية مستقلة.[18]

بعد أن فقدت الدولة العثمانية الثقة في شريف حسين بعد تمرده، حاولت الحكومة العثمانية استبداله بابن عمه علي حيدر* المنافس له في إدارة شؤون مكة، ومع ذلك، تم استدعاء علي حيدر بعد عام من وصوله، وكانت كلمات وداعه لفخر الدين: "قبر النبي امانة بيد الله، ثم بيدك، أتركه في رعايتك، كن جديرا بالثقة".[19]

لم تكن بريطانيا في بداية الامر متحمسة لدعم الشريف حسين في قضيته ضد العثمانيين، وفي هذه الفترة اعلن العثمانيون الجهاد المقدس في حربهم ضد الإنكليز وارادوا منه معرفة اعداد اتباعه ومواليه سواء داخل الجزيرة وخارجها، لكن لم يساند العثمانيين بإرسال أي تعداد لهم وكذلك قام بطرد المبعوثين والعاملين العثمانيين الذين كانوا تحت ادارته، وفي تلك الفترة بدأت القوات الإنكليزية دخول الحجاز وتوجيه اتباع الشريف حسين لنهب طعام ومؤن الجيش العثماني التي تم ارسالها للحجاز، بالمقابل عمل الشريف حسين على السيطرة على سكة الحديد التي تربط الحجاز ببلاد الشام وبالآستانة والتي تأسست وبدأ العمل فيها عام 1908م وأصبحت تحت سيطرة ثوار الشريف حسين، ومنعت بريطانيا وصول أي سفينة عثمانية تحمل امدادات للجيش العثماني في ميناء جدة، وفي تلك الفترة انتهت المفاوضات البريطانية مع الشريف حسين وتقرر اعلان الثورة العربية ضد الدولة العثمانية سنة 1916م وعرفت بالثورة العربية الكبرى*.[20]

علم جمال باشا بهذه التحركات في الحجاز وكان قلقا من هذا التمرد لهذا ارسل قائد الفيلق الثاني عشر الذي كان مرابطا في الموصل وهو فخرالدين باشا الى المدينة المنورة تحسبا لأي هجوم على مدينة الرسول، فأصدر فرمان مؤرخ بتاريخ 23 مايو

1916م تسلمه فخرالدين باشا سرا خوفا من ان يذاع نبأه ويصل الى المتمردين وأيضا خوفا على حياة القائد المعين، وسلم الفرمان الى القائد السابق بصري باشا* الذي لم يكن لديه الخبرة القتالية الكافية ضد التمردات الداخلية، وصل فخرالدين باشا متنكرا بزي عريف حتى لا يثير الشك ولا يعرف اعدائه من هو وحتى يستطيع دراسة الوضع العسكري في المدينة وكيفية إيجاد الحلول للدفاع عنها، ولقد ادرك فخرالدين باشا ان ضربات المتمردين ليست ضربات مجرد تمردات قبلية وانما ذات طابع وتخطيط بريطاني بحت وتأكد له هذا من خلال خطة تدمير سكة الحديد بين المدينة المنورة وسوريا وقطع أي اتصال للجيش العثماني مع المقر القيادة العليا للأركان الحربية في سوريا، ومما اكد على ذلك هو قطع خطوط اسلاك التليغراف أيضا.[21]

وعلى الرغم ان المهاجمين لم ينجحوا في أولى هجماتهم ولم يستطيعوا الوصول الى مأربهم بدخول المدينة المنورة، لذلك قاموا بمهاجمة الناس الساكنين حول المدينة لإجبار القوات العثمانية لغرض سحبهم خارج المدينة والانقضاض عليهم، فقام فخرالدين باشا بالتراجع والتحصن داخل المدينة المنورة فاضطر المتمردين الى التراجع، وفي هذه الفترة اتخذ التدابير اللازمة لدرء أي هجوم اخر على المدينة المنورة على الرغم من الصعوبات من نقص في المؤن والطعام والسلاح، وقام المتمردون بمحاصرة الجيش العثماني داخل المدينة ومنع أي امدادات تصل اليهم حتى لو كانت بسيطة عدى بعض المساعدات القليلة من قبل امير حائل ال رشيد الذي عمل على إيصال الامدادات الى داخل المدينة حتى وان كانت بسيطة.[22]

لقد كانت الخطة البريطانية ان يهاجم الأمير علي مع اتباعه من القبائل المتمردة سكة الحديد الموجودة في الحجاز وتدميرها بالكامل وبمساعدة أخيه الأمير فيصل في سوريا على التدمير الجزء الاخر، وبعد العاشر من يونيو عام 1917م امتد التمرد ليشمل هذه المرة مكة والطائف وكان البريطانيين النصيب الأكبر والدور الأهم في دعم الثوار البدو، وبعد حصار دام لمدة سبعة أيام سقطت جدة بيد الثوار وفي 18 يونيو بعد يومين سقطت مكة أيضا بيد الثوار وبعدها بيومين سقطت الطائف لم تبقى سوى المدينة المنورة صامدة في وجه المتمردين والجنود البريطانيين وجملة البدو.[23]

لقد تحصن القائد فخرالدين باشا في المدينة المنورة لمدة عامين وسبعة اشهر وطلب المساعدات باستمرار من الحكومة لكن دون جدوى لعدم مقدرة القوات العثمانية الأخرى من ارسال تعزيزات له وعدم استطاعتها الوصول للمدينة المنورة بسبب التواجد الكثيف للثوار والقوات البريطانية معا، ولقد حاولت بريطانيا إعطاء فكرة للرأي العام ان شعب الإمبراطورية العثمانية تمرد على الإمبراطورية نفسها وان الشريف حسين خرج ومعه أبنائه وبضعة الآلاف من البدو اللذين جمعهم من الصحراء وكذلك القبائل العربية الموالية له بمساعدة بريطانيا التي أرسلت باستمرار السلاح والدعم اللوجستي لهم عبر فن تحريك الجيوش مطالبين باستقلالهم عن الدولة العثمانية حيث سميت تلك العملية فيما بعد تحت مصطلح "الخيانة العربية".[24]

ومع ذلك يجب التذكير ان سكان الجزيرة العربية لم يكونوا جميعا مناصرين لثورة الشريف الحسين، فالعديد من شيوخ القبائل العربية وقفت مع الدولة العثمانية وساندت بالدفاع عن المدينة المنورة مثل الأمير سعود عبد العزيز بن متعب الرشيد(1908-1920م) *.[25]

مرت أيام عصيبة جدا على فخرالدين باشا وجيشه المرابط داخل اسوار المدينة المنورة وهو محاصر من جميع جهاتها مع قليل من المؤن، عندما كان فخر الدين باشا يدافع عن المدينة، كان أول ما فعله هو إرسال الآثار المقدسة في المدينة وبعض المخطوطات إلى اسطنبول حتى لا يستولي عليها العدو خصوصا بعد ان استولى المتمردون على مكة نتيجة التمرد الذي تصاعد بسبب عدم كفاءة الحاكم العسكري غالب باشا، وتم إرسال معظم هذه المخطوطات بالفعل من قبل المسؤولين العثمانيين إلى المكتبات في المدينة المنورة، ويوجد حاليًا حوالي 500 مخطوطة محفوظة في مكتبة المدينة المنورة بقصر توبكابي، بالمقابل واصل فخرالدين باشا الدفاع عن المدينة بالرغم من محدودية الإمكانيات.[26]

رابعا: واقعة الجراد المشوي

قبل بدء حصار قلعة المدينة، طلبت حكومة اسطنبول من فخر الدين باشا إخلاء القلعة، لكن فخر الدين باشا قال: "لن أنزل العلم التركي من قلعة المدينة بيدي أبدًا. إذا كنتم تريدون إخلاء هذه القلعة، فمن الأفضل إحضار قائد آخر إلى هنا "، أثناء الحصار، قيل إن فخر الدين باشا كان يصلي باستمرار فوق قبر النبي، وكثيرا ما كان يسمع بأنه يقول: "قم ، قم يا محمد ، قم يا رسول الله

، وانظر لمن آمن بك ، وقاتل باسمك ، فأعاننا الله"، وفي 2 أبريل 1918، ألقى فخر الدين باشا خطبة جمعة ملفوفا بالعلم التركي ووفقًا لمؤلف تركي يقتبس رواية شاهد عيان ، انها كانت أحد أيام جمعة ربيع عام 1918 ، بعد صلاة المسجد النبوي (المعروف أيضًا باسم مسجد الرسول) ، عندما صعد الباشا درجات المنبر وتوقف في منتصف السلم ثم استدار، وجهه إلى قبر النبي وقال بصوت عالٍ وواضح:" يا رسول الله، لن اتخلى عنك ابدا!"، ثم التف الى جنوده وخاطبهم قائلا: "أيها الجنود، أناشدكم باسم الرسول الكريم ، اشهدوني، آمركم بالدفاع عن نبي الامة وعن مدينته المباركة حتى آخر رصاصة وآخر نفس، بغض النظر عن قوة العدو، وفقنا الله ، وفقنا الله، اللهم صلي وسلم على سيدنا محمد".[27]

كانت قلعة المدينة محاصرة بعد استيلاء المتمردين على محطة المدورة لسكة حديد الحجاز بالقرب من مكة، لذلك بدأ فخر الدين باشا بالدفاع عن القلعة التي كانت معزولة عن محيطها وسط الصحراء. ولأنهم لم يتمكنوا من الحصول على المساعدة، بدأوا في المعاناة من الجوع والعطش والأمراض. بعد هذه الظروف، أصدر فخر الدين باشا بلاغًا في 7 يونيو 1918 حول أكل الجراد قال فيه: "ما الذي يختلف فيه العصفور عن الجراد؟ فقط انه لا يوجد له ريش، لكن له أجنحة مثل العصفور، يتغذى على النباتات، ويأكل أشياء نظيفة وطازجة، وهو الشيء الرئيسي في طعام البدو، وهم مدينون بصحتهم ولياقتهم للجراد الذي يأكلونه"،

وصف فخر الدين باشا، الذي قيل إن الأطباء حللوا الجراد، على ان وجبات الجراد أعد بأربع طرق مختلفة بعد أن أشاد بخصائص المخلوق.[28]

خامسا: الاستسلام وحياته في الاسر والمنفى

في غضون المعاناة التي واجهها فخر الدين باشا وجنوده من جوع وعطش وقتال، وقعت الإمبراطورية العثمانية، التي قبلت الهزيمة، على هدنة مودروس* في 30 أكتوبر 1918 وفقًا لشروطها، لم يقبلها فخرالدين باشا، الذي طُلب منه تسليم المدينة المنورة حيث دافع عن المدينة لمدة 72 يومًا أخرى بعد توقيع الهدنة ولم يستسلم. ثم قررت إسطنبول تنحيته واستبدله بالعقيد علي نجيب الذي أجرى مفاوضات الاستسلام، ومع ذلك، وضع البريطانيون والعرب استسلام فخر الدين باشا كشرط، ثم اتفق علي نجيب مع البريطانيين على تسليم القائد فخرالدين، حيث ذهب علي نجيب وحاشيته إلى فخر الدين باشا ، الذي لم يستسلم ، في مكان ما بالقرب من قبر النبي محمد، ظن فخر الدين باشا أنهم جاؤوا ليسألوه كيف حاله ، لكنهم بدلاً من ذلك ألقوا الرماد على وجهه ، وحاصروه ثم قيدوه وسلموه إلى البريطانيين في 10 يناير 1919، ذكر فخر الدين باشا إن هذه الحادثة هي أشد أيام حياته إيلاما، وأيضا بالغرم من استسلامه النهائي ابى ان يسلم المدينة تسليما رسميا وشخصيا للشريف حسين، بل استقبله الشريف عبد الله بن الشريف حسين في بئر درويش، استقبالا رسميا، حرص على أن يرضى به فخرالدين باشا وان يكون لائقا بكرامة الرجل وكبرياءه بالحفاوة البالغة وأيضا بالموافقة على كل شرط من شروطه دون أي نقاش.[29]

بعد ان تم تسليم المدينة المنورة للمتمردين والجيش البريطاني في 10 يناير 1919م وفقا لبنود هدنة مودروس تم تسليم الباشا فخرالدين الى القوات البريطانية وعومل كأسير حرب حيث نقل على متن باخرة حربية من ميناء ينبع في 27 يناير 1919م ليذهب بعد ذلك الى القاهرة، واصبح سجينا واسيرا لدى بريطانيا واتهموه انه خارج عن القانون لعدم امتثاله لهدنة موردوس وسجنوه في ثكنة قصر النيل وقضى أيامه محاولا تعلم اللغة الإنكليزية ومارس هواية زراعة الزهور حيث مكث لمدة 7 اشهر ثم رُحل الى مالطا كمجرم حرب وسجن في قلعة سلفادور في 8 أغسطس 1919م ومعه 73 شخصية أخرى من القادة والسياسيين العثمانيين الاتراك والعرب والأوروبيين الموالين للدولة العثمانية، وقضى هناك أيام عصيبة كان في بعض الأوقات يتسلى بقراءة بعض الكتب وممارسة هواية الرسم وكان في بعض الأحيان يحاول أيضا قضاء وقته في زراعة الزهور والنباتات، ومما زاد عليه مرارة الاسر والسجن وصول خبر قطع الراتب الممنوح له مما جعل عائلته تمر بأوقات صعبة.[30]

حُكم على فخرالدين باشا لاحقا بالإعدام، لكن نتيجة للمفاوضات التي بدأت سنة 1921م تمهيدا لعقد معاهدة لندن بين حكومة انقرة ولندن التي كانت تتضمن في أحد بنودها ضمان إطلاق سراح السجناء والأسرى العثمانيين لدى بريطانيا دون قيد او شرط وكان منهم فخرالدين باشا الذي أطلق سراحه في 8 ابريل عام 1921م حيث بقي في السجن لمدة عامين و33 يوما.[31]

في 1 مايو من عام 1921م تم نقل فخرالدين باشا بسفينة تورنتو البريطانية ليتم تسليم الاسرى في برلين في المانيا ومن ثم اعطاءه جواز سفر تركي جنود من اجل الرجوع وبعد ذلك ذهب الى موسكو، وفي موسكو التقى باتحاد جمعيات الجمهوريات الإسلامية، ثم التقى أيضا بأنور باشا وجمال باشا اثنان من الباشوات الثلاثة* للمشاركة في الكفاح الوطني ضد بريطانيا، والتقى بسفير انقرة في موسكو الذي عرض عليه المشاركة في تحرير تركيا والمشاركة في حرب الاستقلال ضد بريطانيا، ووافق فخرالدين باشا على هذا العرض ورجع الى مدينة قارص الواقعة في منطقة شرق الاناضول في تركيا في أغسطس من العام نفسه، وانتقل بعد ذلك الى منطقة ارضروم التي كانت معقل للكفاح المسلح ضد الإنكليز وهنا التقى بمصطفى كمال* الذي اطلق على فخرالدين باشا لقب البطل وارسى له مهمة عضو ارتباط ما بين حكومة انقرة وإسطنبول التي كانت واقعة تحت الاحتلال البريطاني، وبقي يكافح ويقاتل مع اخوانه في جيش التحرير حتى تم التخلص النهائي من سيطرة الاحتلال البريطاني.[32]

سادسا: نمر الصحراء في أفغانستان

عندما كان فخرالدين باشا في موسكو التقى بالوفد الافغاني في السفارة التركية هناك حيث كان هنالك بوادر للتحالف الافغاني-التركي، لهذا قامت حكومة انقرة في 9 نوفمبر عام 1921م وتعزيزا بأواصر الصداقة الأفغانية-التركية، عين فخرالدين باشا كسفير لأنقرة في كابول، حيث أستقبل في العاصمة الأفغانية بكل ترحيب وحفاوة وتكريم كونه المدافع عن مدينة الرسول، ومع كل ذلك كان يتأمل الرجوع للخدمة في الجيش الجديد وصرح بذلك عندما اجرى مقابلة صحفية لجريدة أفغانية قال فيها: "ارغب العمل في الجيش بكل ما لدي من شغف وقوة ولآخر يوم في حياتي، ولكن وكل الي ان أعيش كسفير في أفغانستان، فالله الامر من بعده."[33]

عمل خلال وجوده في أفغانستان الى ترسيخ العلاقات التركية الأفغانية وبقي يهاجم بريطانية في كل فرص اتيحت له، كما قام بعدة اعمال مثل تقديم المساعدات للمسلين في بومبي في الهند، كذلك الاتصال بالشخصيات الإسلامية في روسيا وتقديم الدعم العسكري لهم، وعلى الرغم من عدم رضاه على كونه سفيرا في كابول الا انه واصل المهمة بكل جدارة ووطنية حتى 12 مايو عام 1926م، حيث عاد الى وطنه بعد ان أدى مهمته على اكمل وجه وعين عضوا في محكمة الاستئناف العسكرية سنة 1932م ثم رئيسا لها في نفس السنة، وفي عام 1936م رقي الى رتبة لواء بعد إعادة الخدمة العسكرية وأحيل الى التقاعد بعد انهاء خدمته القانونية، وقامت الدولة التركية بتأسيس متحف تحت اسم "متحف فخرالدين باشا" وضع فيه الميداليات والاوسمة التي حصل عليها في فترة حياته العسكرية وصوره وكتاباته أيضا في فترة خدمته منذ التحاقه بالجيش وحتى آخر سنوات حياته عام ووفاته عام 1948م.[34]

الخاتمة

لقد كان فخرالدين باشا جنديا وقائدا للقوات العثمانية في المدينة المنورة استطاع معه قوة صغيرة من جنوده من الصمود رغم كل ما جابهتهم من عزلة عن العالم امراض وتخريب وهجمات متنوعة ومتكررة من المتمردين والثوار العرب إضافة الى القوات البريطانية، على الرغم من ذلك لم تستطع أي قوة من تلك القوى كسر شوكة هذا المحارب او قهر مقاومته وبقي صامدا بوجه كل محاولات المخابرات البريطانية التي عملت بكل ما لديها من قوة ودهاء لأقناعه بالتخلي عن مدينة الرسول وتسليمها لهم من اجل ان تصبح الجزيرة العربية بأكملها تحت سيطرتهم وللتحكم بمقدراتها فيما بعد، لم يتخلى ذلك القائد الشجاع عن انضباطه في القتال وداوم على ولائه لدينه ووطنه هو ومن كان معه من حفنه من المقاتلين الذين جاؤوا معه من الاناضول تحت امرته ولاقوا معه كل أنواع الحصار والصعوبات واستطاع من تنظيمهم للمقاومة القوية في منطقة بعيدة وغير معروفة لهم وبعيده عن موطنهم الا وهي منطقة الحجاز، تلك البقة المباركة والمهمة لجميع المسلمين من مختلف قومياتهم واعراقهم.

لقد ضل فخرالدين باشا مثالا للجندي المواظب وللقائد المنظم الذي كان حازما في نيته على انه لن يستسلم، لكنه سيدافع عن المدينة حتى اخر رصاصة واخر رجل حتى بعد ان انهارت الإمبراطورية العثمانية وحلفائها بما في ذلك الحاميات العثمانية في حجاز وعسير واليمن وأوضح ان يرفض الاستسلام الا بأمر من السلطان.

الهوامش*

1- قانون الألقاب: هو قانون يشترط القانون على جميع المواطنين في تركيا إلى تبني استخدام الألقاب. 1934 in history, Turkish Ministry of Culture and Tourism.نسخة محفوظة 24 سبتمبر 2015 على موقع واي باك مشين.
2-آشيان أسري: هي مقبرة في حي آشيان بالجزء الأوروبي من مدينة إسطنبول التركية، تطل على مضيق البسفور. دُفن في هذه المقبرة الصغيرة العديد من المفكرين والكُتاب والفنانين. "معلومات عن مقبرة آشيان أسري على موقع findagrave.com". findagrave.com. مؤرشف من الأصل في 09 مايو 2021.
3- Kol Agassi: كانت رتبة عسكرية في الجيش العثماني. يتوافق مع قائد كبير (التركية الحديثة: Kıdemli Yüzbaşı) أو رائد مساعد. Kol Ağası هي كلمة مركبة تتكون من Kol (عمود باللغة التركية) و Ağa (رئيسي باللغة التركية). Kolağası Archived 2011-09-29 at archive.today, Turkish Language Association
4- آيوالق: وهي مدينة ساحلية على ساحل بحر إيجه المطل على منطقة مرمرة شمال غرب تركيا وأقصي غرب مدينة بالق أسير. تعديل قيمة خاصية (P1566) في ويكي بيانات"صفحة آيوالق في GeoNames ID". GeoNames ID. اطلع عليه بتاريخ 16 يناير 2022.
5- أنور باشا: قائد عسكري عثماني وأحد قادة حركة تركيا الفتاة، وُلد في إسطنبول وتخرج من الكلية الحربية ضابطا ليُعين في الفيلق الثالث بسلانيك، ثم عين رئيس أركان الفيلق الثالث بمناستر وانضم هناك إلى جمعية الاتحاد والترقي. مُعرّف موسوعة بريتانيكا على الإنترنت (EBID): https://www.britannica.com/biography/Enver-Pasa — باسم: Enver Pasa — تاريخ الاطلاع: 9 أكتوبر 2017 — العنوان: Encyclopædia Britannica
6- احمد جمال باشا: والي بغداد العثماني وأحد زعماء جمعية الاتحاد والترقي (الباشاوات الثلاثة) الذي اشترك في ثورة (تركيا الفتاة) عام 1908 والتي أطاحت بحكم السلطان عبد الحميد الثاني ثم شارك في الانقلاب العسكري العثماني 1913. Maksudian, Nazan (2012). Georgeon, François (ed.). "L'ivresse de la liberté": La révolution de 1908 dans l'Empire ottoman (in French). Peeters. p. 138. ISBN 978-90-429-2495-6.
7- الشريف حسين بن علي: مُؤسِّس المملكة الحجازية الهاشمية، قائدُ الثورة العربية الكبرى في مطلع القرن العشرين، وأوَّل من نادى باستقلال العرب من حكم الدولة العثمانية. ينتسِب إلى الأشراف من بني هاشم ولقّب بـ «ملك العرب». Peters, Francis Edward (1994). Mecca: A Literary History of the Muslim Holy Land. Princeton University Press. ISBN 9780691032672. - Total pages: 473
8- سليم ياوز: (10 أكتوبر 1470 - 22 سبتمبر 1520) هو تاسع سلاطين آل عُثمان وسابع من تلقَّب بِلقب سُلطانٍ بينهم بعد والده بايزيد الثاني وأجداده من مُحمَّد الفاتح إلى مُرادٍ الأوَّل، وثالث من حمل لقب «قيصر الروم» من الحُكَّام المُسلمين عُمومًا والسلاطين العُثمانيين خُصوصًا. Hanefi Bostan, XV-XVI. Asırlarda Trabzon Sancağında Sosyal ve İktisadi Hayat, p. 67
9- الثورة الفرنسية: ي فترة مؤثرة من الاضطرابات الاجتماعية والسياسية في فرنسا عرفت عدة مراحل استمرت من 1789 حتى 1799، وكانت لها تأثيرات عميقة على أوروبا والعالم الغربي عموما، انتهت بسيطرة البورجوازية خلال التحالف مع نابليون. Abray, Jane (1975). "Feminism in the French Revolution". The American Historical Review. 80 (1): 43–62. doi:10.2307/1859051. JSTOR 1859051.
10- السير هنري مكماهون: (1862 - 1949) الممثل الأعلى لملك بريطانيا في مصر (9 كانون2/يناير1915-1 كانون1/ديسمبر1917). اشتهر بـمراسلات الحسين – مكماهون مع شريف مكة الشريف الحسين بن علي في الفترة من 14 تموز/يوليو1915 إلى 10 آذار/مارس1916 خلال الحرب العالمية الأولى. J. A. M (1950). "DEATH OF SIR HENRY McMAHON". Journal of the Royal Society of Arts. 98 (4812): 147–149. JSTOR 41364037.
11- اللورد كتشنر: (المولود 24 يونيو 1850 – المتوفى 5 يونيو 1916) هو ضابط كبير في الجيش البريطاني من أصل أيرلندي ، ومسؤول استعماري اكتسب سمعة سيئة لحملاته الإمبراطورية، لا سيما سياسته الأرض المحروقة ضد البوير. Royle,

Trevor (1985). The Kitchener enigma (History Press 2016 ed.). Michael Joseph. pp. 347–353. ISBN 9780750967297.

12- جمعية العهد: جمعية العهد جمعية عربية نشأت في نهاية العهد العثماني. Ghareeb, Edmund A. Historical Dictionary of Iraq, pp. 59-60. Scarecrow Press, 2004, ISBN 0-8108-4330-7

13- الجمعية العربية الفتاة: هي جمعية سياسية قومية عربية سرية أنشأها مجموعة من الطلاب العرب في مدينة باريس عام 1911م. الجمعية العربية الفتاة. التاريخ السوري المعاصر، 2019. تاريخ الولوج 3 تشرين الأول 2020. نسخة محفوظة 3 أغسطس 2020 على موقع واي باك مشين.

14- علي حيدر: هو ابن عم الشريف حسين الذي ارادت الدولة العثمانية استبدال الشريف حسين به لكنه استدعي بعد عام واحد من تعينه.A Prince of Arabia‘ (1948) Stitt, George ’

15- الثورة العربية الكبرى: ي ثورة مسلحة ضد الدولة العثمانية، بدأت في الحجاز، حينما أطلق الشريف الحسين بن علي طلقة واحدة من بندقيته، وذلك قبل فجر يوم التاسع من شعبان 1334هـ - 10 يونيو 1916م في مكة المكرمة. Military Intelligence and the Arab Revolt: The first modern intelligence war, Polly a. Mohs, ISBN 1-134-19254-1, Routledge, p. 41.

16- بصري باشا: هو الحاكم ما قبل الأخير من الأمراء العثمانيين على المدينة المنورة. أتى بعده أخوه فخري باشا آخر أمراء العثمانيين على المدينة المنورة ما بين (1916-1919). الطويل، خالد (27-04-2019). "فصول من قصة سفر برلك تهجير العثمانيين أهالي المدينة المنورة". Watanksa. مؤرشف من الأصل في 7 فبراير 2021. اطلع عليه بتاريخ 07 فبراير 2021.

17- الأمير سعود الرشيد: عاشر حكام إمارة جبل شمر من آل رشيد، والثالث والعشرون بين حكام الإمارة من الأسرتين آل علي وآل رشيد. حكم خلال المدة من (1908 - 1920). Madawi al-Rasheed (1991). Politics in an Arabian Oasis. The Rashidis of Saudi Arabia. New York: I. B. Tauirs & Co. Ltd. ISBN 9781860641930.

18- هدنة مودروس: أنهت هدنة مودروس الموقعة في 30 أكتوبر 1918، العمليات القتالية في القتال في الشرق الأوسط بين الدولة العثمانية والحلفاء خلال الحرب العالمية الأولى. Karsh, Efraim, Empires of the Sand: The Struggle for Mastery in the Middle East, (Harvard University Press, 2001), 327.

19- الباشوات الثلاثة: م ثلاثة من كبار المسؤولين الذين حكموا بشكل فعلي الدولة العثمانية في نهايتها، خلال الحرب العالمية الأولى، وهم: محمد طلعت باشا (1874–1921) الصدر الأعظم ووزير الداخلية، وإسماعيل أنور باشا (1881–1922) وزير الحربية، وأحمد جمال باشا (1872–1922) وزير البحرية. مئة عام على الحرب العالمية الاولى - الجزء الثاني الدراسة 16 حسن كيالي

20- مصطفى كمال: (19 مايو 1881 - 10 نوفمبر 1938)، أول رئيس للجمهورية التركية (1923 – 1938)، وقائد الحركة التركية الوطنية، والقائد العام للجيش التركي خلال حرب الاستقلال التركية. Andrew Mango Atatürk: The Biography of the Founder of Modern Turkey, Overlook Press, 2002, ISBN 978-1-58567-334-6.

21- بوخارست: هي عاصمة رومانيا السياسية والصناعية ومركز تجاري رئيسي في البلاد وهي أكبر مدنها، حيث يزيد عدد سكانها عن مليونين وثلاثمائة ألف نسمة، مما يجعلها سادس أكبر مدينة في الاتحاد الأوروبي.

România e în plin boom de muncitori asiatici. Dar cine sunt ei?". 30 October 2019. Archived " from the original on 8 December 2019. Retrieved 7 December 2019.

22- نهر الدانوب: يلقب بنهر العواصم لكونه يمر في فيينا وبراتيسلافا وبودابست وبلغراد، والنهر يعبر أو يحاذي 10 دول أوروبية. والنهر يتكون من التقاء نهرين هما بريج وبريجش والذين ينبعان من الغابة السوداء في ألمانيا ويلتقيان على بعد عدة أميال عند مدينة دوناوشينغن الألمانية.

المصادر التركية والأجنبية

1-Şerif Hüseyin isyanı 5 Haziran 1916 da başlamış ve Medine 13 Ocak 1919 de âsilere teslim edilmiştir.
2-Bulgaristan'da tarihî bir şehir olan Rusçuk eski Tuna Vilayetinin merkeziydi. Kozmopolit bir yapısı vardı. Bugünde Bulgaristanın dördüncü büyük şehri (Ruse/Russe) olup önemli bir sanayi ve kültür merkezidir. Tafsilat için bkz: Machiel Kiel, "Rusçuk", TDV İslam Ansiklopedisi, c. 35, İstanbul 2008.
3-Naci Kaşif Kıcıman, Medine Müdâfaası - Hicaz Bizden Nasıl Ayrıldı?, İstanbul 1994, s. 20. 7 Mehmed Süreyya, Sicill-i Osmanî, c. II, İstanbul 1996, s. 3.
4-Mahir Aydın, "Doksanüç Harbi", TDV İslam Ansiklopedisi, c. 9, İstanbul 1994
5-Bu savaş Osmanlı tarihinde bir dönüm noktasıdır. Balkanların büyük kısmı kaybedilmiştir. Binlerce Müslüman Türk Balkanlardan, Anadoluya hicret etmek mecburiyetinde kalmıştır. Bu hicretin mahiyetini ve yaşanan felaketlerin tafsilatı için bkz: H. Yıldırım Ağanoğlu, Osmanlı'dan Cumhuriyet'e Balkanların Makûs Talihi: Göç, İstanbul 2013.
6-Süleyman Yatak, Fahreddin Paşa, s. 43 vd.
7-Kıcıman, Medine Müdafaası, s. 20.
8-Yatak, a.g.e., s. 45.
9-aynı eser, s. 45.
10-aynı eser, s. 46.
11-aynı eser, s. 48.
12-Kıcıman, a.g.e., s. 21.
13-Yatak, a.g.e., s. 54.
14-Falih Rıfkı (Atay), Ateş ve Güneş, İstanbul 1334, s. 180.
15-Zekeriya Kurşun, "Hicaz (Osmanlı Dönemi)", TDV İslam Ansiklopedisi, c. 17, İstanbul 1998.
16-Yatak, a.g.e., s. 9-10.
17-Yatak, a.g.e., s. 35.
18-aynı eser, s. 36.
19-Stitt, George (1948) 'A Prince of Arabia'
20-Yatak, a.g.e., s. 12
21-aynı eser, s. 38.
22-Azmi Özcan, "Şerif Hüseyin", TDV İslam Ansiklopedisi" c. 38, İstanbul 2010.
23-Yatak, aynı eser, s. 40.
24-aynı eser, s. 41.
25- Şerif Hüseyin, aynı eser, s. 57.
26- Şerif Hüseyin, aynı eser, s. 61.
27- Şerif Hüseyin. aynı eser, s. 63.
28-Philip Knightley-Colin Simpson, Lawrence'in Gizli Hayatı, çev. Cüneyd Emiroğlu, İstanbul 1978'e atfen Yatak, aynı eser, s. 70.
29-Süleyman Yatak, "Fahreddin Paşa", TDV İslam Ansiklopedisi, c. 12, İstanbul 1995.

30-Yatak, a.g.e., s. 233.
31- Lawrence'in Gizli Hayatı, aynı eser, s. 238.
32- Lawrence'in Gizli Hayatı, aynı eser, s. 240.
33-Kıcıman, a.g.e., s. 26
34-Feridun Kandemir, Fahreddin Paşa'nın Medine Müdafaası, İstanbul 2016, s.20.